ملخّص برنامج الخاتمة - الحلقة (١٣٤) - اعرف امامك (ج٣٣)
صحائف العقيدة السليمة - القسم(27)
الصحيفة (٥) - شؤون عقيدة التوحيد (ق٣)
الشأن (٢) - اركان عقيدة التوحيد (ج٢)
الركن (١): التوحيد في آفق ما قبل الحقيقة المحمدية (ق١)
الاحد : ٣/شوال/١٤٤٢هـ - الموافق ١٦/٥/٢٠٢١م
عبد الحليم الغزّي

في الجزءَ الأوّلُ من (الكافي الشريف) لشيخنا الكليني رحمةُ الله عليه، المتوفى سنة ٣٢٨ للهجرة / صفحة ١٥٥ / بابُ جوامع التوحيد / الحديثُ الأول، هذا الحديثُ وهو خطبةٌ من خُطَب الأمير صلواتُ الله وسلامهُ عليه، هذا الحديثُ ينقلهُ لنا إمامنا الصَّادقُ عن جَدِّه أمير المؤمنين، من هنا نحنُ نأخذُ التوحيد، فحديثُ الصَّادقِ حديثُ أبيه، وحديثُ أبيه حديثُ جدَّه، وهو حديثُ الله، فهم وجهُ الله، وهم عينهُ النَّاظرة، وهم لسانهُ النَّاطق.
الصَّادقُ المصدَّق يقول: **مِنْ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤمنِيْن استَنهَضَ النَّاسَ فِي حَربِ مُعاوية فِي المرَّة الثَّانية** - حينما استنهضهم بعد صفين وحتّى بعد النهروان وبعدَ التفاصيل الَّتي وقَعت في الشامِ وفِي الحجَازِ وفِي اليمنِ وفِي العراق حديثُ التاريخِ طويل، المرادُ من المرّة الثانية حينما استنهض سيّدُ الأوصياء العراقيين، وتحديداً أهل الكوفة، للتوجُّه إلى حربِ معاوية، على أيِّ حالٍ أنا لا أريدُ أن أُحدِّثكم عن تلكَ الأيَام، إمامنا الصَّادقُ يقول: **مِنْ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤمنِيْن استَنْهَضَ النَّاسَ فِي حَربِ مُعاوية فِي المرَّة الثَّانية، فَلَمَّا حَشَدَ النَّاس** - فَلمَّا حَشدَ النَّاس؛ حشدهم بدعوته صلواتُ الله عليه - **قَامَ خَطيباً فَقَالَ** - مَا سأقرأهُ عليكم من كلامِ أمير المؤمنين فِي خُطبته والَّتي خَطبها في عُمومِ النَّاس، في عمومِ أهل الكوفة، مَا كانَ هذا الحديثُ حديثاً سرياً، هذه خطبةٌ علنيةٌ بعد أن حَشَدَ النَّاس كي يتهيؤوا للخروجِ إلى بلاد الشامِ لحربِ معاوية في المرة الثانية..
هكذَا قال سَيدُ الأوصياء: **الْحَمْدُ للَّه الوَاحد الأَحَد الصَّمَد الْمُتَفَرِّد الَّذي لَا منْ شَيء كَانْ وَلَا مِنْ شَيءٍ خَلَقَ مَا كَانَ** - أنا لا أريدُ أن أقف عند كُلِّ مفردة من المفردات الَّتي ترد في هَذه الخطبَة الشريفة..
الأمير يقول: **الْحَمْدُ للَّه الوَاحد الأَحَد الصَّمَد الْمُتَفَرِّد** - حينما نقولُ عن الله سُبحانهُ وتعالى من أنَّهُ الواحد، ليس المرادُ في وصفنا لله بأنَّهُ الواحد بأنَّهُ الواحدُ العدديّ، لأنَّ الواحدَ العدديَ يأتي بعدهُ اثنان، وهذا يعني أنَّ الاثنينَ تُناظرُ الوا حدَ الَّذي سبقها، فعددُ الاثنين سيكونُ عدداً متفرعاً عن العدد الأوَّل، وهذا ما لا يمكنُ أن نتحدَّثَ به عن الله سبحانهُ وتعالى، هذا نتحدَّثُ به عن المخلوقين، فالواحدُ العدديّ يمكننا أن نصفَ المخلوقَ به، أمّا المرادُ من الواحد حينَ نصفُ اللهَ سُبحانهُ وتعالَى بالواحد إنَّهُ هو هو الَّذي سيكونُ متفرداً بكُلِّ أوصافه الَّتي وصفَ نفسهُ بها، لستُ نحنُ الَّذين نصفهُ، وما نصفهُ إلَّا بما وصفهُ المعصوم - **الْحَمْدُ للَّه الوَاحد** - ليس بواحد العدد.
الْحَمْدُ للَّه الوَاحد الأَحَد - أمّا الأحدُ فهو الَّذي يتميّزُ بما يتميّزُ به من جمالٍ وجلالٍ وعظمة وكمالٍ وهو شأنٌ خاصٌ بذاته، أحديّ الذَّات ليسَ هناك من مُقايَسة أو مَن ارتباط فيما بينهُ وبينَ خلقه، فهو خُلُوٌ من خلقه، كما يُحدِّثوننا صلواتُ الله عليهم، حينما يُحدِّثوننا في التوحيد يقولون؛ (من أنَّ الله خُلُوٌ من خلقه ومن أنَّ خلقهُ خُلُوٌ منه).
الْحَمْدُ للَّه الوَاحد الأَحَد الصَّمَد - أمّا الصَّمدُ فهو الَّذي تتوجّهُ إليه الموجوداتُ بكُلِّ موجوديتها، وبكُلِّ وجودها.
فالموجودُ:
- لهُ وجودٌ.
- ولهُ موجوديةٌ.
أمّا الوجودُ: فهوَ أصلُ تحقُّقه.
وأمَّا الموجوديَّةُ : أجزاؤهُ الذاتيةُ الَّتي تركَّبت وتحقَّقَ وجودهُ من خلالِ تركُّبِ أجزائه الذاتيةِ وما يلتحقُ بها من الأجزاءِ العَرضيَّة. فتلكَ هي موجوديةُ الموجود، أمَّا وُجودهُ فهو كما قلتُ لكم أصلُ تحقُّقه.
الصَّمدُ الَّذي صَمَدَت إليه ، توجَّهت إليه كُلُّ الموجودات بوجودها وبموجوديتها، لماذا؟ لأنَّ وجودها ولأنَّ موجوديتها كُلُّ ذلك يتقوَّمُ بفيضه، فهذا الوجودُ هو ظلّهُ، والتعابيرُ قاصرةٌ هذا هو الَّذي تستطيعُ اللغةُ أن تعرضهُ لنا، وهذا هوَ الَّذي أستطيعُ أن أتحدَّث عنه، اللغةُ قاصرةٌ وعقلي قاصرٌ وأنا قاصرٌ في هذا الفناء، فماذا أقول؟!
- **الصَّمَد الْمُتَفَرِّد الَّذي لَا منْ شَيء كَانْ وَلَا مِنْ شَيءٍ خَلَقَ مَا كَانَ** - فحينما خَلَقَ؛ خَلَقَ المشيئةَ بنفسها، ليسَ من شيء آخر - **الَّذي لَا منْ شَيء كَانْ** - المعنى واضح إنَّهُ لَا أوَّلَ الَّذي لا أوليّةَ لأوليّته، إنَّهُ الأوَّلُ ما هو بالأوَّل العدد، إنَّهُ الأوَّلُ القديم، حينَ نقولُ: الأوَّلُ إنَّهُ القديم، الَّذي لا أوليّةَ لأوليّته - **لَا مِنْ شَيء كَانْ وَلَا مِنْ شَيءٍ خَلَقَ مَا كَانَ** - وإنَّما خَلَقَ ما خَلَقَ قُدرةً بان بها من الأشياء وبانت الأشياءُ منه، مثلما قلتُ لكم قبل قليل فهو خُلُوٌ من خلقه وخَلقُه خُلُوٌ منه، فَخَلَقَ مَا خَلَق لا من شيء، خلق المشيئة بنفسها.
أقربُ لكم الفكرة: هذه نواةُ التمر الصغيرة، هذه تشتَملُ على النخلة الكبيرة، وتشتملُ على الكميات ا لكثيرة من التمر الَّتي ستُنتجها النخلةُ المختبئةُ والمختفيةُ في باطنِ هذهِ النواة، هذهِ النواةُ بحسبِ حسِّنا هي قطعةٌ صغيرةٌ يابسة متخشِّبة لا حياة فيها، لكن في الحقيقةِ كُلُّ الحياةِ مُختبئةٌ فيها،

إلَّا إذا كانت تلك النواةُ قد تعرَّضت لتعفُّنٍ وانتهت الحياةُ فيها، بحسبِ علم النبات، بحسبِ الحكمة أيضاً فهذه النواةُ ما هي بميتة، نحنُ نراها هكذا، كُلُّ الحياة موجودةٌ في داخلها، هذه النواةُ هي (chip) للنخلة وللتمور الكثيرة الَّتي ستخرجُ منَ هذه النخلَة الكبيرة المختبئة في هذه النواة. فحينما خَلَقَ سُبحانهُ وتعالى الحقيقةَ الـمُحَمَّديَّةَ جعلَ كُلَّ شيءٍ فيها، فهوَ خالقٌ لكُلِّ الأشياء الَّتي ستخلقها الحَقيقةُ الـمُحَمَّديّة، منَ هنا كانَ أحسن الخالقين، الحقيقةُ الـمُحَمَّديَّةُ خالقةٌ، لكنَّ ما خلقتهُ الحقيقةُ الـمُحَمَّديَّةُ هو في الحقيقة قد خلقهُ الله، من هنا كانَ اللهُ أحسنَ الخالقين، فما خلقتهُ الحقيقةُ الـمُحَمَّديَّةُ وما فاضَ منها هو الَّذي أودع كُلَّ شيءٍ فيها، حينَ أودعَ جمالهُ وجلالَهُ وعظمتهُ وشعَّت الأسماءُ الحُسنى من الحقيقةِ الـمُحَمَّديَّةِ الَّتي هي مصادرُ كُلِّ الخلقيات في هذا الوجود، في الحقيقةَ كُلُّ شيءٍ يعودُ إليه..

- **قُدْرةً بَانَ بِهَا منْ الأَشْيَاء وَبَانَت الأَشْيَاءُ منه، فَلَيسَت لَهُ صِفَةٌ تُنَال وَلَا حَدٌّ تُضْرَبُ لَهُ فِيْهِ الأَمْثَال** - المرادُ من الحدِّ؛ النهايات، فليسَ لله من نهايةٍ في كماله، وفي جماله، وفي جلاله، وفي عظمته.

- **فَلَيسَت لَهُ صِفَةٌ تُنَال** - تُنال بمدارك الإنسان.

كَلَّ دُوْنَ صِفَاتِه تَحْبِيْرُ اللُّغَات، وَضَلَّ هُنَاكَ تَصَارِيفُ الصِّفَات - التحبيْرُ تحبيرُ اللغات، التحبيرُ؛ تُطلقُ على الكتابة، لأنَّ الكاتبَ يستعمل الحبر، والتحبيرُ؛ يُطلَقُ على ما يقومُ به الخطاطون من تزيين كتاباتهم وتجميلها وزخرفتها، والتحبيْرُ؛ تُطلقُ على تزويق الكلامِ وتزيينه، وتحبيرِ اللغات؛ هو بذلُ أقصى الجهد في الـ بيانِ أن يتحدَّث المتحدِّثون بأبلغ ما يكون، بأفصح ما يكون، بأجملِ ما يكون، هذا هو تحبيرُ اللغات، فإنَّ اللغاتِ عاجزةٌ مهما أُوتيت من مُرونة في التعبير، ومن قُدرة ذاتية في الاشتقاقِ والتفصيلِ والتنويع، وإن كانت على ألسنة أبلغِ البُلغاء وأفصحِ الفُصحاء.

وَضَلَّ هُنَاكَ تَصَارِيفُ الصِّفَات - تصاريفُ الصفات؛ ما نستطيعُ أن نتخيلهُ، ما نستطيعُ أن نتوقَّعهُ، ما نستطيعُ أن نعتبرهُ من وضعِ مراتبٍ لتلك الصفات، أو من وضعِ خصائص، ومن النَّظرِ إلى حيثياتٍ عميقة في دلالة تلكَ الصفات، كُلُّ شيءٍ سيذهبُ هباءً منثوراً، فكُلُّ ذلكَ هوَ من خلقنا من شؤونات مخلوقيتنا، فأنَّى لذلكَ أن يُحيط بعظمته سبحانهُ وتعالَى؟!

وَحَارَ فِي مَلَكُوته عَميقَاتُ مَذَاهبِ التَفْكير، وَانْقَطَعَ دُونَ الرُّسُوخ فِي عِلْمه جَوَامِعُ التَفْسير - جوامعُ التفسيرِ لقُرآنه، أو جوامعُ التفسيرِ لحقائقِ توحيده، وحقائقُ توحيده في قُرآنه، الَّذي لا يعلمُ تأويله إلَّا هُو سُبحانهُ وتعَالى والرَّاسخونَ في العلم، مُحمَّدٌ وعَلِيٌّ وفَاطمَة وأبناءُ فَاطمَة من المجتبى إلى القائمِ صلواتُ الله وسلامهُ علَيهم أجمعين، أولئكَ هُم الرَّاسخون، الرَّاسخونَ في كُلِّ شيءٍ، الرَّاسخونَ في العلمِ، الرَّاسخونَ في الغيبِ، الرَّاسخونَ في القُدرة، الرَّاسخونَ في الجلال، الرَّاسخونَ في الجبروت، (وَذَلَّ كُلُّ شَيءٍ لَكُم).

وَحَالَ دُونَ غَيْبِه الْمَكْنُونِ حُجُبٌ منَ الغُيُوب تَاهَتَ فِي أَدْنَى أَدَانِيْهَا طَامحَاتُ العُقُول فِي لَطِيفَات الأُمُور - طامحاتُ العقول؛ العقولُ في أرقى مراقيها والَّتي تطمحُ أن تصل إلى أبعد الغايات - **تَاهَت فِي أَدْنَى أَدَانِيْهَا** - فيما هو الأدنى منها، هذه الخُطَب هي لا تعطينا تفصيلاً علمياً مُحدَّداً، إنَّما تضعنا في مقام الوَلَه والحيرة، الله، الله، الله، (**اللهُ؛** من الأَلَه والوَلَه)، **الله؛** الذَّاتُ الَّتي والمعنى الَّذي يَأَلَهُ إلَيْه كُلُّ شيء، ويُصيبُ كُلَّ شيءٍ الوَلَهُ في عظيمِ فيضه، الذَّاتُ الَّتي تتحيرُ فيها العقولُ و القُلوب، اللهُ من الأَلَه ومن الوِلَه حيثُ تتوجَّهُ العقولُ والقلوبُ بكُلِّ ما فيها، والنتيجةُ في أفضلِ ما تصلُ إليه الحيرةُ، لا أتحدَّثُ عن حيرة الضلال، إنَّها حيرةُ المعرفة، إنَّها حَيرةُ الحُبِ وَحيرةُ العبادة، فهذه الخُطبُ التوحيديةُ هذه الَّتي أقرؤها عليكم على سبيلِ المثالِ وسائرُ الخُطب الأخرى الَّتي وردتنا عن أميرِ التوحيد عن عليٍ وعنهم جميعاً وحتَّى ما جاء من حديثٍ عنِ التوحيد في أعمقِ الدلالات في الخطبة الزَّهرائية المعروفة، فلقد تحدَّثت عن التوحيدِ في جانبٍ من خُطبتها الشريفة، كُلُّ الَّذي جاءنا عنهم عن مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد إن كانَ في قُرآنهم المفسَّرِ بتفسيرهم، أو كانَ في حديثهم المفهَّم بتفهيمهم، أرقى ما يمكننا أن نصل إليه (**الحيرةُ**)، إنَّها حيرةُ المعرفة، هنَاكَ حيرةُ الضَلال أنا لا أتحدَّثُ عن حيرة الضلال، أتحدَّثُ عن حيرة المعرفة، و حيرةُ المعرفة هي الدهشةُ حينما يُسيطرُ العجزُ على العُقول والقُلوب عن اكتناه ما تتوجَّهُ إليه، هذه هي الحيرةُ الَّتي أتحدَّثُ عنها، وهي حيرةٌ لذيذةٌ ولذيذةٌ جِدَّاً، ليسَ كحيرة الضلال الَّتي تجعلُ الإنسان مسطولاً، حيرةُ الضلال شَيءٌ آخر، إنَّني أتحدَّثُ عن حيرة المعرفة، إنَّني أتحدَّثُ عن حيرة العشق، وعن حيرة الحُبّ، إنَّني أتحدَّثُ عن حيرة العبادة الحقَّة في أفنيةِ القُربِ، وفي مسالك الجذبِ باتجاهه سبحانهُ وتعالى، قطعاً عبرَ وجههِ الَّذي نتعاملُ معهُ بشكلٍ مُباشرٍ (إمامُ زماننا)، وعبرَ وجهه الأعظم (حَقيقتهُ الـمُحَمَّديَّةُ)، حين أقول حقيقتهُ الـمُحَمَّديَّةُ لا أتحدَّثُ عن حقيقَة كُنهه سبحانهُ وتعالى، مثلما أقولُ مُحَمَّدٌ عبدهُ، مُحَمَّدٌ مملوكٌ لَهُ، فالحقيقةُ الـمُحَمّديَّةُ مملوكةٌ لهُ، هي حقيقتهُ، هو المالك لها، فإنَّهُ كانَ جلَّ شأنهَ وتقدَّس ولم يكن معهُ شيء، وبعدَ ذلكَ خلقَ الحقيقة الـمُحَمّديّة الَّتي هي حقيقتهُ، **حقيقتهُ؛** إنَّها الحقيقةُ الَّتي تتجلَّى فيها العبوديةُ في أعمق معانيها الَّتي لا نستطيعُ أن نُدركها، المعنى الَّذي يتحدَّثُ عنه رسول الله صلَّى الله عليه وآله: (**يَا عَلِيّ لَا يَعرِفُ الله إلَّا أنَا وَأنْت، وَلَا يَعرِفُني يَا عَلِيّ إلَّا الله وَأنْت، وَلَا يَعرِفُكَ يَا عَلِيّ إلَّا الله وأنَا**) ، هذا هوَ الَّذي قصدتهُ حينَ قُلتُ من أنَّ الحقيقة الـمحمّديّة حقيقتهُ هي في مقامِ العبوديةِ الَّتي لا نستطيعُ أن نتخيَّل معنى ذلكَ المقامِ إنَّما نُردِّدهُ على الألسنة، فإنَّ اللهَ لا يعرفهُ إلَّا مُحَمَّدٌ وعليّ، كما أنَّ مُحَمَّداً لا يعرفهُ إلَّا اللهُ وعلي، كَما أنَّ علياً لا يعرفهُ إلَّا اللهُ ومُحَمَّد.

يستمرّ الأميرُ في خُطبته الشريفة: **فَتَبَارَكَ اللهُ الَّذي لَا يَبْلُغُهُ بُعْدُ الْهِمَم وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الفطَن، وَتَعَالَى الَّذِي لَيْسَ لَهُ وَقْتٌ مَعْدُود وَلَا أَجَلٌ مَمْدُود وَلَا نَعْتٌ مَحْدُود** - النَّعتُ؛ الصفة - **سُبْحَانَ الَّذي لَيْسَ لَهُ أَوَّلٌ مُبْتَدأ وَلَا غَايَةٌ مُنْتَهى وَلَا آخرُ يَفْنَى، سُبْحَانَهُ هُوَ كَمَا وَصَفَ نَفْسَه** - كيفَ نعرفُ وصفَ الله لنفسه؟ من المعصوم فقط (فاء ، قافَ ، طاء) من المعصومِ فقط - **سُبْحَانَهُ هُوَ كَمَا وَصَفَ نَفْسَه وَالوَاصِفُونَ لَا يَبْلُغُونَ نَعْتَه وَحَدَّ الأَشْيَاءَ كُلَّهَا عِنْدَ خَلْقه** - فما من مخلوقٍ خلقهُ سبحانهُ وتعالى إلَّا وكانَ محدوداً، فالمخلوقُ محدود، وهوَ الَّذي جعلَ لخلقه حدوداً - **إِبَانَةً لَهَا منْ شبْهه** - فهوَ خُلوٌ منهَا وهي خُلوةٌ منه - **إِبَانَةً لَهَا من شبْهِه وَإِبَانَةً لَهُ من شبْهِهَا، لَم يَحْلُل** - لم يكن حالاً في شيءٍ منها ممَّا خلق - **لَم يَحْلُل فيهَا فَيُقَال هُوَ فِيْهَا كَائِنٌ، وَلَم يَنْأى عَنْهَا** - لم يبتعد - **فَيُقَال هُوَ مِنْهَا بَائِن** - هناك خطأٌ مطبعيٌّ (فيقول) والنسخةُ الأصليةُ الصحيحة (فيقال)، أقول هذا لمن يتابعُ

معي وفقاً للنسخة الَّتي أقرأ منها كي يلتفت إلى هذا الخطأ المطبعي - **لَم يَحْلُلْ فيْهَا** - فيما خَلَق - **فَيُقَال هُوَ فيْهَا كَائنٌ، وَلَم يَنْأى عَنْهَا** - لم يكن بمنأى ببُعد عنها - **فَيُقَال هُوَ منْهَا بَائنٌ وَلَم يَخْلُ منْهَا فَيُقَال لَهُ أيْن** - فإنَّهُ إذا خلا منها فهذا يعني أنَّ مكاناً خاصَّاً بهِ قد لجأ إليه - **لَكنَّهُ سُبْحَانَهُ أحَاطَ بهَا علْمُه** -

﴿**وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**﴾، هذه إراءةٌ إحاطية، هذه رؤيةٌ إحاطية، والرؤيةُ الإحاطيةُ هيَ فرعٌ على سبيلِ التقريبِ ما هي بفرعٍ على سبيل التقريبِ هي فرعٌ لعلمٍ حضوري، فهناكَ علمٌ حُضوريٌّ عندَ الله وعندَ رسوله وعندَ المؤمنون الَّذينَ ذُكروا في هذه الآية؛ ﴿**وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ**﴾، هذه القضيةُ خارجةٌ عن حدود الزمانِ والمكان، هذه القضيةُ خارجةٌ عن أنَّ العلمَ هو انطباعُ صُورة المعلومِ لدى العالـم، هذه إحاطةٌ بالمعلومِ نفسه، وليسَ هناكَ من حديثٍ عن صُورةٍ عن المعلوم، نعودُ إلى الجوهرةِ المهدويَّةِ في دُعاءِ شهرِ رجب: (**لَا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا إلَّا أنَّهُم عبَادُكَ وَخَلْقُك**).

في مظاهرهم البشرية : فإنَّ طبقةً من طبقاتِ علمهم تكونُ في مستوى صُورِ المعلوماتِ لكنَّ درجة الوضوح ليست كدرجة الوضوح الَّتي عندي، ولا يوجدُ ترديدٌ وتشكيكٌ، فلو انكشفَ الغطاءُ لهم، وهذا التعبيرُ تقريبيٌّ مدارا تيٌّ من سيِّدِ الأوصياء، فأيُّ غطاء يحولُ فيما بينهُ وبين الحقيقة؟! ما هو جوهرُ الحقيقة، إنَّهُ الاسمُ الأعظمُ للحقيقة الـمُحَمَّديَّة، وكُلُّ العلمِ في الحقيقة الـمُحَمديَّة، وكُلُّ ما فيها تجلَّى في مُحَمَّدٍ وعليٍّ، (**لو كُشفَ الغطَاءُ لي مَا ازدَدتُ يَقيناً**)، الحديثُ هنا لا عن حقيقةِ حقائقِ العلمِ، ما أشارت إليهِ الآيةُ: ﴿**وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**﴾ تلكَ إحاطةٌ مُطلقةٌ، تلكَ إراءةٌ حقيقيةٌ، ذلك حضورٌ للمعلومِ بنفسه، وإحاطةٌ بالمعلومِ نفسه.

لَكنَّهُ سُبْحَانَهُ أحَاطَ بهَا علْمُه وَأتْقَنَهَا صُنْعُه وَأحْصَاهَا حفْظُه، لَم يَعْزُبْ عَنْهُ - يَعزُب يغيب - **لَم يَعْزُبْ عَنْهُ خَفيَّاتُ غُيُوبِ الهَوَاء** - الأميرُ يأتينا بصورٍ تُقرِّبُ لنا الفكرة، إنَّها أمثلةٌ حسيَّةٌ تُقرِّبُ من وجه وتُبعِّدُ من وُجوه كثيرة وكثيرة وكثيرة - **خَفيَّاتُ غُيُوبِ الهَوَاء** - هذا بالنسبة لنا، فنحنُ يخفى علينا الهَواء، لا نراهُ بحواسنا، ربَّما نتحسَّسهُ، لكنَّنا لا نَراهُ بحاسَّة البصر، لا نراهُ بأعيُنِنا، ولا نُدركُ أسرارَ تكوينهِ حينما نلامسُ الهَواء ويُلامسنا، ولا نستطيعُ أن نُشخِّص مبتداهُ من مُنتهاه.

لَم يَعْزُبْ عَنْهُ خَفيَّاتُ غُيُوبُ الهَوَاء وَلَا غَوَامضُ مَكْنُونِ ظُلَمِ الدُّجَى - اللَّيلُ المظلم - **وَلَا مَا فِي السَّمَاوَاتِ العُلَى** - الجهاتُ العاليةُ فوقنا - **إلَى الأَرَضيْنَ السُّفْلَى** - إلى كُلِّ طبقات الأرض - **لكُلِّ شَيءٍ مِّنْهَا حَافظٌ وَرَقيْبٌ** - لكُلِّ شيءٍ منها حافظٌ ورقيب من خلقه سُبحانهُ وتعالى، فهناكَ الملائكةُ الحافظة الحارسة، وهناك الملائكةُ الرقيبة الـمُراقبة، والحديثُ عن السماوات قد يُقصَدُ منهُ الجهاتُ العُليا فوقَ أرضنا في هذا الفضاء، وقد يُقصَدُ منها السَّماواتُ من السَّماء الأولى إلى السَّماء السابعة، وكذلكَ ما يرتبطُ بالحديث عن الأرضين السُّفلى إمَّا هي الأرضون مدائنُ السماء الكواكبَ الأخرى الَّتي فيها ما فيها من خَلقِ الله بحسبِ ما حدَّثتنا كلماتهم، ولستُ بصدد الحديثِ عن هذهِ المضامين، أو أنَّ المرادَ من الأرضين السَّفلى طبقاتُ أرضنا وفيها ما فيها.

وَكُلِّ شَيءٍ مِّنْهَا بشَيءٍ مُحيْط - فهذه الكائناتُ فيها الكائنُ الكبيرُ وفيها الكائنُ الصغيرُ، وفيها الكائنُ الَّذي يُحيطُ بغيره، وفيها الكائنُ الـمُحاطُ.

وَالْمُحيْطُ بمَا أحَاطَ مِنْهَا - والَّذي أحاطَ بكُلِّ شيءٍ من المخلوقات الحقيقةُ الـمُحَمَّديَّةُ وهو مُحيطٌ بها - **وَكُلِّ شَيءٍ مِّنْهَا** - من هذه المخلوقات - **وَكُلِّ شَيءٍ مِّنْهَا بشَيءٍ مُحيْط** - واللهُ هو المحيطُ بكُلِّها - **وَالْمُحيْطُ بمَا أحَاطَ مِنْهَا، الوَاحدُ الأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذي لَا يُغَيِّرهُ صُرُوفُ الأَزْمَان** - صُروفُ الأزمان؛ تقلُّب الأزمان، تقلُّب الأزمان في ليلها ونهارها، أو في صيفها وشتائها، أو في خيرها وشرها، وقطعاً الخيرُ والشر ينسبُ إلى أبناء الزمان، في الحقيقةِ الخيرُ خيرُ أبناء الزمان، والشرُّ شرُّ أبناء الزمان، ولكنَّهُ قد يُنسبُ إلى الزمانِ عرضاً.

الوَاحدُ الأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذي لَا يُغَيِّرهُ صُرُوفُ الأَزْمَان وَلَا يَتَكأدُهُ صُنْعُ شَيءٍ كَان - يتكأدهُ؛ يُصيبهُ بعجزٍ بخلل، يُتعبهُ يتشكَّلُ عائقٌ من العوائق في مرحلةٍ من مراحلِ الصُّنعِ والإبداعِ والاختراع - **إنَّمَا قَالَ لمَا شَاءَ كُنْ فَكَان** - وحتَّى هذا تقريبٌ، الأميرُ هو الَّذي يقول عن كلمة (كُنْ)، إنَّها لا بصوت مقروع ولا بنداء مسموع، إنَّما أمرهُ، كما يقولُ سيِّدُ الأوصياء بَينَ الكَاف والنُون، في بعض أشعاره (إنَّما أمرهُ بَينَ الكاف والنون)، هذه التعابيرُ رموزٌ وإشاراتٌ وأمثلةٌ في مستوى التقريب، اللغةُ قاصرةٌ، فاللغةُ محدودةٌ بحدود ألفاظها، وبحدود ما تدلُّ عليه تلكَ الألفاظُ من المعاني، فهي جزء من عالمنا المحدود، وبحسبِ قوانين الفهمِ والتفاهمِ والتفهُّم فإنَّها تنسجمُ معَ مستوى عقولنا، فهيَ لا تتجاوزُ مستوى عقولنا، وعقولنا محدودةٌ، فاللغاتُ محدودةٌ، وهذه المحدوديةُ تجعلُ اللغة قاصرةً، فلذا فإنَّ المتحدِّث حتَّى لو كانَ الأميرُ هو الَّذي يتحدَّث لابُدَّ من حشد الأمثلة ومن تقريب البيانات كي نكون في مستوىً من الحيرة المعرفية، لا أتحدَّثُ عن حيرة الضلال، عن حيرة الجهالة، هذه حيرةُ المعرفة، كما قلتُ لكم: خُطبُ التوحيد غايتها هدفها أن توصلنا إلى حيرة المعرفة، لأنَّ الله سبحانه وتعالى جعلَ معرفتهُ في العجزِ عن معرفته، معرفةُ الله تكونُ في العجزِ عن المعرفة، لكنَّ هذا يكون في أجواء حيرة المعرفة، لا في أجواء حيرة الجهالة، لا في أجواء حيرة الضلالة، تلكَ حيرةٌ أخرى.

إنَّمَا قَالَ لمَا شَاءَ كُنْ فَكَان، ابْتَدَعَ مَا خَلَقَ بلَا مثَالٍ سَبَق، وَلَا تَعَبٍ وَلَا نَصَب - التعبُ يُطلقُ على ما يُعانيه الإنسان بسببِ العملِ والمثابرة إن كانَ ذلكَ في الخيرِ أو في الشر، أمَّا النَّصب فإنَّهُ التعبُ في الخير، هذا بحسبِ الثقافة القُرآنية وبحسبِ الأدعية الشريفة وكلماتهم.

ابْتَدَعَ مَا خَلَقَ بلَا مثَالٍ سَبَق، وَلَا تَعَبٍ وَلَا نَصَب وَكُلُّ صَانعِ شَيءٍ فَمنْ شَيءٍ صَنَع - إمَّا اعتمدَ مُخطَّطاً مُعيناً، فكرةً مُعيَّنةً، هناكَ مثال احتذاه، المادة الأوليةُ، إلى بقيَّة ما يدخلُ في حيز الصناعة والخلق البشري - **وَاللهُ لَا منْ شَيءٍ صَنَعَ مَا خَلَق** - لقد خلق المشيئةَ بنفسها، وبعد ذلكَ المشيئةُ خلقت الأشياء - **وَكُلُّ عَالمٍ فَمن بَعد جَهْل تَعلَّم وَاللهُ لَم يَجْهَل وَلَم يَتَعَلَّم** - والحديثُ عن الحقيقة الـمُحَمَّديَّة بالدرجة الأولى لأنَّها لم تكن موجودةً، فلمَّا لم تكن موجودةً لم تكن عالمةً، وإنَّما أوجدها عالمةً بعدَ أن لم تكن قد كانت فينطبقُ هذا الكلامُ بكُلِّه عليها، في الدرجة الأولى فإنَّ الله لا يقيس علمهُ بعلمي، ولا يقيسُ علمهُ حتَّى بعلم الأنبياء من شيعةِ عليٍّ وآلِ عليٍّ، لا يمكنُ المقايسة بهذا المستوى.

أَحَاطَ بِالأَشْيَاء عِلْماً قَبْلَ كَوْنِهَا - في علمه مثلما قلتُ لكم: مقامُ الأشياء في علمه أعلى رُتبةً من مقام تحقُّقها - **فَلَم يَزْدَد بِكَونِهَا عِلْماً** - فمقامها في علمه أعلى - **فَلَم يَزْدَد بِكَونِهَا عِلْماً، عِلْمُهُ بِهَا قَبْلَ أَن يُكَوِّنَها كَعِلْمه بَعْدَ تَكْوِينَهَا** - هذه هي الحيرةُ المعرفيةُ، وهذه العبائرُ تقريبيةٌ، الأميرُ يُقرِّبُ لنا الأجواء - **لَم يُكَوِّنهَا لِتَشْدِيْد سُلْطَانٍ وَلَا خَوف مِنْ زَوَال وَلَا نُقْصَان وَلَا اسْتِعَانَة عَلَى ضدٍّ مُنَاوٍ** - المُناوي هو المعادي - **وَلَا اسْتِعَانَة عَلَى ضدٍّ مُنَاوٍ وَلَا ندٍّ مُكَاثِر** - أمَّا الضدُّ فهو المُعادي، والمُناوي هو الَّذي يُفعِّلُ العَداء عملياً وقولياً، والأمثلةُ تقريبيةٌ حسيّةٌ من واقع حياتنا البشَرية - **وَلَا ندٍّ مُكَاثِر** - أمَّا النِّدُّ فهو المُنافسُ، والمُكاثر هو الَّذي يُنافسُ في المُكاثرة، فهو النظير - **وَلَا ندٍّ مُكَاثِرٍ وَلَا شَرِيك مُكَابِر، لَكن خَلَائِقٌ مَرْبُوبُون وَعِبَادٌ دَاخِرُونَ** - الداخرون؛ هُم الأذلَّاءُ في ساحة فنائه جلَّ شأنهُ وتقدَّس، وعبدٌ داخرٌ؛ عبدٌ ذليلٌ بينَ يديه، والذلَّةُ بينَ يديه كمالٌ، كالعبودية بين يديه عزَّةٌ ورفعةٌ إلى الحد الَّذي تُخبرنا كلماتهم الشَريفةَ: (من أنَّ العُبودية جوهرةٌ كُنْهُها الربوبية)، وكذلك الذلَّةُ في فنائه جوهرةٌ كُنهها العزَّةُ والعَظَمَة - **فَسُبْحَانَ الَّذي لَا يَؤُدُهُ خَلْقُ مَا ابْتَدَأَ وَلَا تَدْبِيْرُ مَا بَرَأَ** - لا يَؤُدُهُ؛ لا يُثقلهُ - **فَسُبْحَانَ الَّذي لَا يَؤُدُهُ** - لا يُثقلهُ لا يكونُ ثقيلاً عليه.

وَلَا مِنْ عَجْزٍ وَلَا مِنْ فَتْرَة - والفترةُ الكسلُ، الفترةُ هي الكسلُ، هي الانقطاعُ عن مواصلة العمل والجدِّ والاجتهاد.

وَلَا مِنْ عَجْزٍ وَلَا مِنْ فَتْرَةَ بِمَا خَلَقَ اكتَفَى، عَلِمَ مَا خَلَقَ وَخَلَقَ مَا عَلِم، لَا بِالتَفْكِيْرِ فِي عِلْمِ حَادِثِ أَصَابَ مَا خَلَق - العلمُ الحادثُ؛ هو العلمُ الطارئ، وهو علمُ المخلوق، علمُ الحقيقة المُحمَّديَّة علمٌ حادثٌ، لأنَّ الحقيقةَ المُحمَّديَّةَ حادثةٌ، أنا لا أتحدَّثُ عني وعن أمثالي، لا قيمة للحديث عني وعن أمثالي، إنَّما أتحدَّثُ عن الحقيقة المُحمَّديَّة المخلوقُ الأعظمُ الأجل، فحينما نريدُ أن نتحدَّثَ عن قُدسه سُبحانهُ وتعالى علينا أن نتأدَّب بالحديث حينما نأتي بالأمثلة، أن نتحدَّث عن أقرب الخلقِ إليه إنَّها الحقيقةُ المُحمَّديَّة، هكذا يكونُ الحديثُ عن الله.

وَلَا شُبْهَة دَخَلَت عَلَيْه فِيْمَا لَم يَخْلُق، لَكن قَضَاءٌ مُبْرَمٌ وَعِلْمٌ مُحْكَم وَأَمْرٌ مُتْقَن، تَوَحَّدَ بِالرُّبُوبِيَّة وَخَصَّ نَفْسَهُ بِالوَحْدَانِيَّة وَاسْتَخْلَصَ بِالْمَجْد وَالثَّنَاء وَتَفَرَّدَ بِالتَوْحِيْد وَالْمَجْد وَالسَّنَاء - والسَّناء هو الضوء المَشرقُ حينما يكونُ البدرُ في تمام هيئته في وسط الشهر القمري يُقالُ لضوئه سنا القمر، سناء القمر - **وَتَوَحَّدَ بِالتحْمِيْد، وَتَمَجَّدَ بِالتَمْجِيْد، وَعَلَا عَن اتِّخَاذ الأَبْنَاء، وَتَطَهَّرَ وَتَقَدَّسَ عَنْ مُلَامَسَة النِّسَاء، وَعَزَّ وَجَلَّ عَنْ مُجَاوَرَة الشُّرَكَاء، فَلَيْسَ لَهُ فِيْمَا خَلَق ضدّ، وَلَا لَهُ فِيْمَا مَلَكَ ندّ، وَلَم يُشْرِكْهُ فِي مُلْكِهِ أَحَد، الوَاحِدُ الأَحَدُ الصَّمَد** - تلاحظون أنَّ الأمير يُكرِّرُ هذه الأوصاف (الواحدُ الأحدُ الصّمد) هي مضمونُ سورة التوحيد، وسورةُ التوحيد في ثقافة العترة الطاهرة يُقالُ لها: (نسبةُ الله)، ما المراد من نسبة الله؟ بمثال تقريبي: بطاقةُ الهوية هذه نسبتي ونسبتكم، البطاقةُ المدنية، الحكومية، الوطنية، ماذا تسمّونها؟ هذه البطاقة الَّتي تُعرف بالشخص، الهويةُ الرّسميةُ للأشخاص، بطاقةُ الأحوال الشخصية، فحينما نقول سورةُ التوحيد بحسب تعابيرهم: (نسبةُ الله)، إنَّها بطاقةُ التعريف بالله سبحانهُ وتعالى، وهي في مضمونها تُشكِّلُ ثُلُثَ القُرآن فإذا ما قُرِئَتْ ثلاثاً فكأنَّ الَّذي قرأها قرأ القُرآن بكامله، وفيها رمزيَّةٌ لولاء عليٍّ في مستوى اللسان وفي مستوى القلب وفي مستوى العمل، الرواياتُ حدَّثتنا عن هذا المضمون.

الوَاحِدُ الأَحَدُ الصَّمَدُ المُبِيْدُ للأَبَد - هوَ الَّذي يُبيْدُ الأبد ، والأبدُ إشارةٌ للزمان وإلى الوقت، بل إلى ما هو أبعدُ من ذلك، فإنَّ وعاء الزمان ليسَ وعاءً لكُلِّ الموجودات، وإنَّما هناكَ مَا قد يُصطلحُ عليه (بأوانِ الوجود) ، الَّذي يُجزَّأ إلى آنات الوجود، فأوانُ الوجودِ هو غيرُ الزمان، الزمانُ ناشئٌ من حركة الأفلا ك، وما كُلُّ الموجودات تخضعُ لحركة الأفلاك، جزءٌ من الموجودات تخضعُ لحركة الأفلاك..

الوَاحِدُ الأَحَدُ الصَّمَدُ المُبِيْدُ للأَبَد وَالوَارِثُ للأَمَد - والأمدُ هو الوقتُ الَّذي لهُ بدايةٌ ولهُ نهاية، أمَّا الأبدُ فهو الوقتُ الَّذي ليسَ لهُ نهايةٌ بحسبنا، فهوَ المبيدُ للأبد، وهو الوارثُ لَلأمد للوقت المَحدود واللا محدود.

الَّذي لَم يَزَل وَلَا يَزَالُ وَحْدَانِياً - وحدانياً بالواحدية الَّتي لا علاقة لها بالعدد.

وَحْدَانِياً أَزَلِياً قَبْلَ بَدْء الدُّهُور - والمرادُ من الدهورِ ما يتجاوزُ الأزمنة، فالأزمنةُ مصداقٌ من مصاديق الدهور، زماننا الفلكيُّ مصداقٌ من مصاديق الدهور، الدهورُ إنَّها أوعيةُ الخلق، فمثلما في عالمنا الزمانُ وعاءٌ لنا، أو هو بُعدٌ من أبعاد حياتنا كما يقول الفيزيائيّون: (البعدُ الزمكاني)، بحسب النظرية النسبية، فالزمانُ وعاءٌ لنا من جهة فلسفية لفلسفة الأشياء، ولكن في طبقات هذا الوجود هُناك من الموجودات الأعظمُ رُتبةً، والأكثرُ عدداً ليسَ محكوماً بأزمنة الأفلاك إذْ لا وجود للأفلاك الَّتي كأفلاكنا هناك، لكن لها وعاء؟ لَها وعائها الَّذي يُناسبها، فكُلُّ تلكَ الأوعية هي الدهور، الدهورُ لا تعني الأزمنة الَّتي هي بسببِ حركة الأفلاك، الدهورُ هي أوعية طبقات الوجود في كُلِّ طبقة بحسبها..

بَدْء الدُّهُور وَبَعْدَ صُرُوف الأُمُور - الصّروفُ؛ التغيّر والتبدُّل والتطورُ، التطورُ إلى الأمام أو إلى الوراء.

وَبَعْدَ صُرُوف الأُمُور الَّذي لَا يَبِيْدُ - **لَا يَبِيْدُ وَلَا يَنْفَدُ بِذَلك أَصِفُ رَبِّي** - هكذا وصفَ ربّهُ عليّ، وهكذا نَصِفُ ربّنا فنأخذُ الصفة من المعصوم فقط (فاء ، قاف ، طاء) فقط، التوحيدُ - **فَلَا إِلَهَ إِلَّا الله مِنْ عَظِيْمِ مَا أَعْظَمَه وَمِنْ جَلِيْلِ مَا أَجَلَّه وَمِنْ عَزِيْزِ مَا أَعَزَّه وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوّاً كَبِيْراً** - الظَّالمون نحنُ الَّذين نظلمُ الله بوصفنا القاصرِ بحدودِ عقولنا المحدودة القاصرة، الظَّالمونَ هُم الَّذينَ يعرفون الله من طريق العرفاء، من طريق الفلاسفة، من طريق عُلماء الكلام، من طريقِ عُلماء الفيزياء، من طريقٍ، ومن طريقٍ، هؤلاء هم الظَّالمون، ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾، القُرآن هو الَّذي يقول، ما أنا الَّذي أقول..